

**IMPACT OF NAHW- SCIENCE ON THE INTERPRETATION OF THE NOBLE QUR'AN: AN
APPLIED STUDY ON SŪRAT AL-TAWBA VERSETS 38; 40; 42.**

Salma KHOUBBANE¹

Researcher, Al Quaraouiyine University, Morocco

Abstract:

This work entitled "Impact of Nahw- science on the interpretation of the Noble Qur'an: An applied study on Sūrat Al-Tawba versets 38; 40; 42." Seeks to Clarifying the aspects of cognitive integration between linguistics and Islamic sciences, foremost of which is grammar "Nahw- science» and interpretation, and showing the polarity of the Qur'anic text in supplying and controlling this cognitive overlap. This is because the emergence of the science of grammar was mainly related to the service of the Book of God Almighty after the spread of Lahn phenomenon. Thus this was a systematic necessity imposed by the political and cultural dimensions of that era. From this point of view, this work aims to explain the role played by Nahw- science in directing the semantics and determining the Qur'anic meaning, bypassing the standard stereotyped image of Nahw- science, which confined it to dry rules. To demonstrate this role, we have adopted the following approach: We quote the verse, then define the phenomenon that aroused the commentators as they treat it, and we conclude by deducing the meanings.

We have adopted the following interpretations as important references in the grammatical and explanatory lesson approach:

- Arab Al Qur'an
- AL bahr al muhit
- Editing and Enlightenment "Al tahrir wa Al tanwir"
- The great explanation " Al tafsir al kabir"
- AL jami'a li ahkam Al Qur'an
- Al dor Al masson fi A'ilm Al kitab Al maknon
- In the shadows of the Qur'an " Fi dilal Al Qur'an"
- The meanings of the Qur'an " Ma'ani Al Qur'an"
- The meanings of Al-Nahw
- Al kachaf

this approach has forced us to start this work with a theoretical study which Define the concept of grammar and interpretation followed by a practical study that describes then analyzes and justifies the Qur'anic phenomena as follows: grammatical conclusions and multiplicity of meaning, second: Qur'anic readings and grammatical disagreement. The aim of this, is to stress the effectiveness of grammar in interpretation after the expiration of the time of instinct and Arabic eloquence.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.16.9>

¹  khoubbane1989@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-2700-3773>

So what then are the manifestations of these tributaries at the level of the verses of Surat Al-Tawbah?

And how did the interpreters employed the grammar lesson in their syntactic and semantic graduations?

Key words: Al Nahw “Arabic Grammar Science; Al Tafsir “Interpretation”; Syntactic And Semantic Graduations.

أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية من سورة التوبة آيات 42/40/38

سلمى خبان

الباحثة، جامعة القرويين، المغرب

الملخص:

تسعى هذه المقالة العلمية المعنونة بأثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية من سورة التوبة، استجلاء مظاهر التكامل المعرفي بين علوم اللغة والعلوم الإسلامية وفي مقدمتها علم النحو والتفسير، وإظهار قطبية النص القرآني في إمداد هذا التداخل المعرفي والتحكم فيه.

ذلك أن نشأة علم النحو في الأساس كانت مرتبطة بخدمة كتاب الله تعالى بعد أن تفشى اللحن.

فكان النحو ضرورة منهجية فرضتها الأبعاد السياسية والثقافية في تلك الحقبة.

من هذا المنطلق تروم المقالة العلمية بيان الدور الذي يضطلع به النحو في توجيه الدلالة وتحديد المعنى القرآني، متجاوزين بذلك الصورة النمطية المعيارية للنحو والتي حصرته في قواعد جافة.

وللتدليل على هذا الدور اتبعنا المنهج التالي: نورد الآية ثم نحدد الظاهرة التي أثارها المفسرين وهم يعالجونها ونختم باستنباط المعاني.

ويتخذ البحث من تفاسير:

- اعراب القرآن
- البحر المحيط
- التحرير والتنوير
- التفسير الكبير
- الجامع لأحكام القرآن
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون
- في ظلال القرآن
- معاني القرآن
- معاني النحو
- الكشاف
- مراجع هامة في مقاربة الدرس النحوي والتفسيري.

وهذا المنهج فرض علينا مدخلاً نظرياً نحدد فيه معنى النحو والتفسير، ثم جانب تطبيقي يصف ثم يحلل ويعلل الظواهر القرآنية كالتالي: لتخرجات النحوية وتعدد المعنى، ثانياً: القراءات القرآنية والخلاف النحوي، والهدف من ذلك التنبيه على فاعلية النحو في التفسير بعد انقضاء زمن الفطرة والسليقة العربية

فما هي إذن تجليات هذه الروافد على مستوى آيات سورة التوبة؟

وكيف وظف المفسرون الدرس النحوي في تخرجاتهم الإعرابية والدلالية؟

الكلمات المفتاحية: النحو، التفسيري، التخرجات النحوية، تعدد المعنى.

المقدمة:

يروم المقال بيان الدور الذي يضطلع به النحو في توجيه التفسير المسند للآيات القرآنية، والذي يمكنه من التأثير في تحديد الدلالة، ويسعفه في إغناء المعنى نتيجة تعدد التخريجات النحوية، واختلاف القراءات القرآنية.

ولما كان علم التفسير، في أحد أدق فروع يرتكز بالأساس على التوجيه النحوي لاستنباط المعاني المشككة، حاول المقال الكشف عن التداخل المعرفي بين الدرس النحوي والتفسير، من خلال نماذج تطبيقية من سورة التوبة.

حيث أضحت فكرة تكامل المعارف والعلوم في السنوات الأخيرة من أكثر المواضيع اهتماماً في الأوساط العلمية والأكاديمية. وطالت مجالات متعددة منها العلوم الإنسانية والاقتصادية والبحثية وعلوم الإدارة والتسيير والتربية وغيرها، و تهدف هذه المقاربة إلى انفتاح العلوم بعضها على البعض، وتناصها وتناظرها ومد الجسور بينها، وتسهم في رحلة المصطلحات والأفكار من حقل علمي إلى آخر بسلاسة كبيرة وذلك من أجل رؤية شمولية وعميقة في البحث العلمي، وتحقق ازدهاراً ونهوضاً لهذه الأمة، وتجد حلولاً للإشكاليات المطروحة في كل حقل علمي. وأصالة هذه الفكرة نابعة من كون " القرآن المنطلق الأسمى للشمولية والتكاملية العلمية، إذ أن فهم دلالاته وسير أغواره يستلزم تكامل المعارف والعلوم، بل إن هذا الكتاب السماوي كان المحرك الأساس وراء النهضة العلمية التي عرفها العالم الإسلامي، والمحفز لنشأة عدد من العلوم العربية والإسلامية وتطويرها فالنحو نشأ بسبب نقشي اللحن و علم الأصوات وما وترعرع لدى علماء التجويد، والبلاغة تطورت في أحضان الإعجاز لقد شكل التكامل المعرفي اليوم أهمية بارزة نظراً لظهور التخصصات التي استثمرت في غير وجهها المستحق.

وللتدليل على هذا الموضوع سنعرض مجموعة من الحالات التي رصدناها في سورة التوبة تحديداً حيث تمثل نموذجاً تطبيقياً لهذا التكامل بالعلوم الإسلامية وخاصة علم التفسير.

1. التخريجات النحوية ودورها في تكثيف المعنى:

سنعينا في هذا المقال إلى التمثيل ببعض النماذج القرآنية التي تضمنت بعض القضايا النحوية المختلف حولها، ومن ثم، تعددت فيها تخريجات المفسرين.

1.1. المثل الأول: الآية 38

ففي قوله تعالى: " مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا "

أورد الطاهر بن عاشور فيه مسألتان:

"قوله تعالى: " مَا لَكُمْ " جاء الاستفهام لطلب بيان سبب التباطؤ و التثاقل في القتال، وطلب التصديق حول الرضا بالحياة الدنيا، وبالعودة إلى أسباب النزول نجد فعلاً أن هناك تثاقلاً وتباطؤاً قد حصل، "وكان هذا التثاقل في غزوة تبوك وكانت رجب سنة تسع، فإنه صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من الطائف أقام بالمدينة قليلاً ثم استنفر الناس في وقت عسرة وشدة من الحر وجذب من البلاد وقد أدركت ثمار المدينة وطالت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليه الشخوص لذلك، وعند الرجوع إلى كتب التفسير والبلاغة نجد أن هذا الاستفهام خرج عن معناه الحرفي إلى معنى آخر استلزم المقام، وهو الإنكار والتقرير و التوبيخ، والتقدير أي شيء يمنعكم عن كذا، كما تقول مالك عن فلان معرضاً، والملاحظ أن الطاهر بن عاشور قد اكتفى في تفسيره لهذه الآية بعلم أسباب النزول.

وفي السياق نفسه نجد أن هذا المعنى يعضده التفسير النحوي في "إذا: فالملاحظ أن الغالب في "إذا" "أن تكون ظرفاً للمستقبل متضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، والجمهور يرى على أنها لا تخرج عن الظرفية وقد تخرج عن الاستقبال فتستعمل للمضي، كقوله تعالى: " حتى إذا أتوا على واد النمل " [النمل: 18]، "حتى إذا بلغ بين السدين" [الكهف: 93].

وتجيء للحال، قوله تعالى: "والليل إذا يغشى" [الليل: 1].

وتستعمل أيضاً للاستمرار كقوله: " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون " [البقرة: 14-15]، فهذا فيما مضى لكن دخلت (إذا) لتدل على أن هذا شأن المتخلفين عن القتال أبداً ومستمر فيما سيأتي وهو الذي تدل عليه صيغة " اتفانتم ".

فقد وظف المفسرون العديد من التخرجات النحوية لاستخراج أكبر قدر من المعاني و يتضح لنا هذا في كلمة "أثاقلتم"، حيث وردت بعدة تأويلات، وتضمنت أبعاداً وظيفية وأثرت في المعنى. يرى ابن فارس: "الثاء والقاف واللام أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة... وهو ضد الخفة" "أي ثناقلتم" بمعنى تفاعلتهم.

أما الزجاج فيقول عن هذه الآية "اثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم" ومنها اثاقلتم إلى شهوات الدنيا، وجاء في جامع الإحكام للقرطبي أن معناه يدل على نعيم الأرض، أو إلى الأرض، وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج وهو نحو من أخلد إلى الأرض.

أما سيد قطب فقد وصفها صوتياً بقوله: وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل.

ولا خلاف أن هذه الآية نزلت عتاباً على تخلف من تخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فجاء سياق الآية بالعتاب للمتخلفين والتهديد بعاقبة التثاقل عن الجهاد في سبيل الله، والتذكير لهم بما كان من نصر الله لرسوله، قبل أن يكون معه منهم أحد، وبقدرته على إعادة هذا النصر بدونهم، فلا ينالهم حينئذ إلا إثم التخلف والتقصير. وبالعودة إلى قوله تعالى "اثاقلتم" نجد المفسرين قد اختلفوا في وظيفتها النحوية، حيث تحتمل وجهين من الإعراب:

- الأول: في موضع نصب حال

- الثاني: في موضع جر بحرف جر

المعنى التفسيري للوجه الأول: "أثاقلتم" أصله ثناقلتم، أدغمت الثاء في الثاء لقربها منها، واحتاجت إلى ألف الوصل لتصل إلى النطق بالساكن، أي أن الثاء الزائدة أبدلت "ثاء" وأدغم الحرفان المتمثلان وحيء بهمزة الوصل حتى توصل إلى النطق بالساكن". ووزنه تفاعلتم مثل "ادارأتم" فقلبت الثاء الزائدة ثاء وتم الإدغام، فاجتلبت له همزة الوصل لأن شرط الإدغام أن يكون الأول ساكناً فلم يمكن الابتداء به لذلك جيء بهمزة الوصل فصار الوزن "افاعلتهم" والفاء الأولى زائدة، ولكنها صارت من جنس الأصل، فينطق بها مشددة، لا لأنهما أصلان، بل لأن الزائد من جنس الأصل، والفعل هنا ماضٍ بمعنى المضارع، وهو عامل في إذا، أي: مالكم تتأقلون إذا قيل لكم انفروا. وتلك الحالة هي محل الإنكار، أي مالك فعلت كذا، ومالك تفعل كذا كقوله تعالى (مالكم لا تناصرون) الصافات 25، ومالك فاعلاً، كقوله تعالى (فمالكم في المناققين فئتين) النساء 88

وقرى "أثاقلتم" على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ، فإن قلت: فما العامل في إذا وحرف استفهام مانعة أن يعمل فيه؟ قلت: مادل عليه قوله "اثاقلتم"، أو في "مالكم" من معنى الفعل، فإذا ظرف تعلق بمعنى الاستفهام الإنكاري على معنى: أن الإنكار حاصل في ذلك الزمان الذي قيل لهم فيه: انفروا، وليس مضمناً معنى الشرط لأنه ظرف مضي، كأنه قيل: ماتصنعون إذا قيل لكم، كما تعمله في الحال إذا قلت: مالك قائماً، فهنا العامل في إذا محذوف لدلالة المتقدم عليه، ويكون ذلك العامل في موضع الحال من ضمير الجماعة أي مالكم تتأقلون وموضعه النصب، وحذف لدلالة اثاقلتم عليه.

ويمثل هذا الاتجاه الزمخشري في تفسيره الكشاف، و أبوحيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، والعكبري في إعراب القرآن.

لقد انطلق المفسرون في هذا المثال من تحديد الوظائف النحوية لكل مكوناته، وربطوا ذلك بالمعنى المتضمن في الآية الكريمة، حيث قاموا بإرجاع الظاهرة اللغوية إلى أصلها.

ويمكن وصف هذا التفسير بكونه قائم على دراسة الوحدات النحوية وبنياتها، حيث احتلت جملة اثاقلتم داخل هذا المستوى النحوي مكانة مركزية، لأنها الوحدة النحوية التامة التي تشتغل في إطارها سائر الوحدات النحوية الأخرى.

أما المعنى التفسيري للوجه الثاني: أي شيء لكم في التثاقل على مذهب الخليل، وقد رد على هذا القول أبو حيان الأندلسي بقوله: "وهذا ليس بجيد، لأنه يلزم منه حذف أن، لأنه لا ينسبك مصدر إلا من حرف مصدرى والفعل، وحذف أن في نحو هذا قليل جداً أو ضرورة، وإذا كان التقدير في التثاقل فلا يمكن عمله في إذا، لأن معمول المصدر الموصول لا يتقدم عليه.

يقول ابن يعيش في شرحه: "قد تقدم القول أن المصدر موصول، ومعموله من صلته، من حيث كان المصدر مقدر بأن والفعل، وأن موصولة كالذي فلذلك لا يتقدم عليه ما كان من صلته لأنه من تمامه، بمنزلة الباء والذال من زيد، بخلاف اسم الفاعل، فإنه يجوز تقديم معموله عليه لأنه ليس موصولاً، ولم يكن مقدرراً بأن إلا أن يكون فيه الألف واللام، نحو الضارب، أي لأن "ال" في اسم الفاعل الصحيح أنها اسم موصول. قال ابن يعيش فإنه لا يجوز تقديم شيء من معموله عليه؛ لأن الألف

واللام موصولة كالذي، فعلى هذا لا نقول: زيدا ضربك خير له. يعني على أن الأصل: ضربك زيدا خيرا له فإذا قدمت زيدا على المصدر وهو من صلته إذ كان معمولاً له بطلت المسألة وبناء عليه قد استبعد أبو حيان أن تكون موضع جر بحرف جر.

استنتاج: يتبين من خلال المعنيين أن التخريجات النحوية أثرت في المعنى التفسيري، من خلال إبراز حال هؤلاء المنافقين في التناقل عند تركهم للجهد، ثم بتقدير حرف الجر "أي شيء لكم في التناقل" من معنى الإنكار في التناقل.

إن المطالع لأراء المفسرين يجد أنها لا تقف عند رصد الكلمة داخل تركيب الجملة بل تهتم بتركيب الجملة وربط صورتها بالمعنى المراد منها؛ تيسيراً للفهم والسبب في ذلك أن فهم معاني بعض تركيبات الآية القرآنية يستوجب الاحتكام إلى مجموعة من الفرائض النحوية، قصد ضبطها ودرء كل تأويل قد يكون متعارضاً مع ما جاء القرآن من أجل ترسيخه.

وبناء عليه تتأكد علاقة الترابط بين علم التفسير والنحو في كون بعض المفردات لا يتم فهمها إلا بدراسة النحو؛ فالوظيفة التركيبية لبنية المفردة تسهم في تفسير المعنى القرآني، إذ لا يمكن دراسة التفسير القرآني دون التعرّيج على النحو، لأنه قانون العلاقات التي تحكم النظم.

فالنحو ليس فقط صناعة شكلية، بل يقوم بوظائف مزدوجة تربط بين الوظيفة التركيبية والمعنى الدلالي.

2.1. المثال الثاني: الآية 42

وفي قوله تعالى: لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيْباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَأَتَّبِعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعْيَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ «42»
قوله تعالى: " لَخَرَجْنَا " تتضمن ثلاثة أوجه إعرابية:

- الأول: جواب القسم.
- الثاني: جواب لو.
- الثالث: جواب القسم ولو جميعاً.

● المعنى التفسيري الأول:

ذهب أبو حيان إلى أن "الخرجنا" جواب القسم، لأن جواب "لو" محذوف "على قاعدة اجتماع القسم والشرط، لأن الجواب يتحدد للسابق منهما، أما الآخر فجوابه محذوف دل عليه جواب المتقدم منهما. وعلى هذا الأساس فإن جملة "الخرجنا" جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجواب الشرط "لو استطعنا" محذوف دل عليه جواب القسم، وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور. والمعنى سيحلفون متخلصين عند رجوعك من غزوة تبوك (أي الرسول صلى الله عليه وسلم) معتذرين يقولون، بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا.

يتضح لنا من كل ما سبق كيف فسر أبو حيان جواب القسم مشيراً إلى أن المعنى كان محكماً في استدعاء المحذوف، إذ لا يستقيم الكلام دونه في المعنى، كما يبرز تفسير الآية كيف وظف أبو حيان ظاهرة الحذف لتكثيف المعنى.

● المعنى التفسيري الثاني: أن "الخرجنا" هو جواب لو، وجواب القسم هو لو وجوابها، وهذا اختيار ابن مالك، والمعنى إخبار بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم.

ونرى أن الرأي الثاني أرجح، لاحتوائه الرأي الأول.

● المعنى التفسيري الثالث: "الخرجنا" سد مسدهما، فيكون التأويل أنه لما حذف جواب لو ودل عليه جواب القسم، جعل كأنه سد مسد القسم وجواب لو.

انطلاقاً من الآراء السابقة تبين لنا أنه لما كان المعنى في الآية بينا مع ترك الجواب استغني عنه، وذلك لعنتين أولهما ظهور المعنى، والعلة الثانية أنه دل عليه جواب القسم.

ملاحظة: قوله تعالى: "الخرجنا"

"اختلف في هذه اللام على أقوال: -قسم ذهب إلى أنها تفيد التسوية، لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب من الشرط.

- قسم ذهب إلى أنها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى.

- قسم ذهب إلى أنها اللام الواقعة في جواب القسم.

- قسم ذهب إلى أنها زائدة مؤكدة وذلك لجواز سقوطها

يرى الزمخشري أن اللام مؤكدة فإذا أردت أن تؤكد شيئاً ما جئت بها، وهذا القول ليس بعيداً عن قول من قال هي واقعة في جواب قسم، فكلتاها تفيد التوكيد، فإن القسم توكيد وجوابه مؤكد، وهي أيضاً لا تخلو من التوكيد.

قوله تعالى: **يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)**

تتضمن ثلاثة أوجه إعرابية:

الأول: بدل

الثاني: حال

الثالث: جملة استأنافية

● المعنى التفسيري الأول:

بدل من الجملة قبلها " **وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ** " أي إنهم يوقعون في الهلاك أنفسهم بحلفهم الكاذب.

المعنى التفسيري الأول، أن يكون بدلاً من سيحلفون، والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلف. وذلك لأن الحلف سبب للإهلاك فهو مشتمل عليه، فأبدل المسبب من سببه لاشتماله عليه

وقد رفض هذا الوجه أبو حيان الأندلسي، لأن الإهلاك ليس مرادفاً للحلف، ولا هو نوع من الحلف، ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل إلا أن يكون مرادفاً له، أو نوعاً منه.

● المعنى التفسيري الثاني:

حال من فاعل سيحلفون، أي سيحلفون مهلكين أنفسهم.

حال من فاعل " **لَخَرَجْنَا** " أي لخرجنا وإن أهلكنا أنفسنا، وجاء بلفظ الغائب لأنه مخبر عنهم، فالغيبة على حكم الإخبار.

أما المعنى الثاني: "يحتمل أن يكون حالاً بمعنى مهلكين، والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلف، ويحتمل أن يكون حالاً من قوله " **لَخَرَجْنَا** " أي لخرجنا معكم، وإن أهلكنا أنفسنا، وألقيناها في التهلكة بما نحلها من المسير في تلك الشقة، وجاء به على لفظ الغائب، لأنه مخبر عنهم "

وهذا الوجه لا يجوز في نظر أبو حيان الأندلسي، "لأن قوله " **لَخَرَجْنَا** "فيه ضمير التكلم، فالذي يجري عليه إنما يكون بضمير المتكلم، فلو كان حالاً من ضمير لخرجنا، لكان التركيب: نهلك أنفسنا، أي مهلكي أنفسنا، وأما قياسه، ذلك على الحلف بالله ليفعلن ولأفعلن فليس بصحيح، لأنه إذا أجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منهم إلى ضمير المتكلم، لو قلت: حلف زيد ليفعلن، وأنا قائم، على أن يكون وأنا قائم حالاً من ضمير " **ليفعلن** " لم يجز."

المعنى الآخر جملة استأنافية: " **يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ** " بالحلف الكاذب.

المعنى الثالث: " **يهلكون أنفسهم** " بالحلف الكاذب، أي يوقعونها في الهلاك به، وهي إخبار منه تعالى.

لم يكن غرض أبو حيان في هذا المثال الوقوف عند إعراب الآية، بل كان همه إظهار السر وراء اختيار تركيب من بين عدة اختيارات ممكنة، فهو نظر إلى المعنى النحوي بوصفه الجدلية المزدوجة المفتولة بإحكام من المفردات والنظام النحوي معاً.

إن النحو قد لعب دوراً مهماً في امتداد المعاني؛ التي يتضمنها التركيب ويستدل بها من جهة اللفظ لتحديد مقصده اللغوي، وقد ظهر هذا بجلاء عندما تشابهت البنى التركيبية واختلفت مقاصد الآية.

نخلص مما سبق أن المعاني الناتجة عن تعدد الأوجه الإعرابية أدت إلى اختلاف التفسير، بين الإخبار عن أنهم يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب، أو إنهم يحلفون مهلكين أنفسهم، أو أن خروجهم يهلك أنفسهم، أو أن هلاكهم هو حلفهم الكاذب.

يتضح لنا في هذا المثال كيف وظف العكبري، والزمخشري، أبو حيان؛ سياق التخاطب في اختيار التركيب المناسب، ذلك أن الآية تخاطب أشد المتخلفين عن القتال.

ويمكن إرجاع هذا التعدد المعنوي؛ إلى الاشتراك في دلالة بعض الألفاظ، وخاصة في بعض الصيغ والحروف مما يجعلها تحتل أكثر من وجه إعرابي، حيث لا يخفى أن معرفة معاني الحروف جزء أساس في علم الإعراب والقراءات القرآنية والخلاف النحوي.

2. القراءات القرآنية والخلاف النحوي:

«إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (40)

قوله تعالى: " وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا " تعددت أوجه القراءات فيها بين الرفع والنصب: قرئ بالنصب أي وجعل.

وقراءة الجمهور بالرفع.

• المعنى التفسيري الأول:

ينتصر أبوحيان الأندلسي لقراءة الرفع فهي أثبتت في الإخبار، استناداً إلى ما ورد عن أنس رضي الله عنه، أن في مصحف أبي وردت " وجعل كلمته هي العليا"، فناسب الوصف بالعزة الدالة على القهر والغلبة، والحكمة الدالة على ما يصنع مع أنبيائه وأوليائه، ومن عاداهم من إعزاز دينه وإخماد الكفر، وقد وافقه الزمخشري الرأي لأن الرفع أوجه، ففي قوله تعالى: " هي العليا" ابتداء وخبر، والابتداء والخبر خبر الأول، ويجوز أن يكون "العليا" الخبر، "هي" فاصلة، أي فصلاً بين المبتدأ والخبر، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو، وأنها المختصة به دون سائر الكلم، وجاء في قراءة العامة على الاستئناف، لأن كلمة الذين كفروا وصفت بالسفلى مسبقاً.

• المعنى التفسيري الثاني:

قرئ بالنصب عطفاً على الأول، أي " وجعل كلمة الذين كفروا السفلى"، فتكون كلمة الله عليا بجعل الله وتقديره، "وزعم الفراء أن هذا بعيد، قال: لأنك تقول: أعتق فلان غلام أبيه، ولا تقول: غلام أبي فلان. لأن فيه وضع الظاهر موضع المضمرة، إذ الوجه أن تقول كلمته، كما أن فيه دلالة على أن كلمة الله كانت سفلى، فصارت عليا، إضافة إلى أن تأكيد مثل ذلك بهي بعيد، إذ القياس أن يكون إياها

استنتاج:

لقد أدى هذا الخلاف إلى تنوع المعنى وتعدده، فالرفع يفيد الإثبات والتعظيم، الإثبات لأن الخبر به يفيد ثبات الحكم وهو ما تحيل عليه الجملة الاسمية، والتعظيم يتجلى في إعادة الذكر، أما النصب فهو بأن تكون كلمة كلمة الله عليا بجعله سبحانه، ورغم اعتراض المفسرين والنحويين على هذه القراءة فهي تبقى لها حجبية في مجال القراءات لتواترها (قراءة يعقوب).

يندرج ضمن هذه الفائدة من الخلاف، إتاحة تعدد وجوه الإعراب المقبولة، فكل وجه إعرابي يحتمل معنى جديداً من المعاني، لأن الإعراب ملازم للمعنى، وهو يبين دور الحركة في آخر الكلمة، ويظهر أثرها في المعنى، وخاصة آيات القرآن الكريم.

نخلص مما سبق إلى أن تعدد القراءات في هذه الآية نتج عنه تعدد في المعنى، وثرأ في الدلالة فالتفسير المشار إليها حاولت توجيه القراءات باعتماد منطلقات نحوية ولغوية موسعة بذلك المعنى القرآني.

خاتمة:

نستخلص مما سبق:

إن الدرس النحوي اكتسب مكانة هامة داخل كتب التفسير، باعتباره واحداً من علوم اللغة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تفسير القرآن الكريم، ونجد بعض المفسرين قد اتخذوا من علم النحو أداة إجرائية محورية في تقليب وجوه الآيات ورصد أهم المؤشرات اللغوية والظواهر النحوية المؤثرة في المعنى.

ينضح لنا أن المفسرين قد وقفوا عند أهم الظواهر النحوية محاولين تحديد أبعادها الوظيفية ومدى تأثيرها في المعنى.

نخلص أيضاً من المعاني المثارة سلفاً من قبل المفسرين تعتمد الظاهرة النحوية منطلقاً لتوسيع المعنى وتعدده، فظاهرة البدلية والعملية حاضرتان بقوة في تحليل لمفسرين للاحتتمالات التي تقبلها اللغة في الآية.

إن التخريجات النحوية في الآيات القرآنية، تتيح إمكانات كبيرة لاستنباط المعاني التفسيرية، وهذه التخريجات لا تتحقق فقط عن طريق معرفة الصيغة أو الأسلوب، وإنما هي أمر مضموني يستخرج من مقاصد الصيغة أو الأسلوب، وقد يكون استخراجها قريباً أو بعيداً؛ فإن كان الأول فإن المضمون يتبادر من اللفظ بأول النظر ونكتفي فيه ببيدئ الرأي، وإن

كان الثاني، فإننا نحتاج إلى مجاوزة الدلالة المباشرة والغوص في باطن النص غوصاً يتفاوت سعة وعمقاً، ومع التوسل في ذلك بالأدلة الزائدة على اللفظ، وهي أدلة مقالية مشتملة على أسباب النزول وملابسات السنة وظروف الممارسة العامة، وعلى ما تواتر من القوانين والقواعد المشرعة إلى وقت ورود النص.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص
ابن فارس. (بلا تاريخ). معجم مقاييس اللغة. إيران: دار الكتب العلمية.
ابن يعيش. (بلا تاريخ). شرح المفصل.

- ابو حيان الاتدلسي. (بلا تاريخ). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
ابو حيان. (بلا تاريخ).
ابو حيان الاتدلسي. (بلا تاريخ).
ابو حيان الاتدلسي. (بلا تاريخ).
ابو حيان الاتدلسي. (بلا تاريخ).
الزجاج. (بلا تاريخ). معاني القرآن وإعرابه. (تحقيق عبد الجليل عبده شليبي، المترجمون) عالم الكتب.
الزمخشري. (بلا تاريخ).
الزمخشري. (بلا تاريخ).
الزمخشري. (بلا تاريخ).
الزمخشري. (بلا تاريخ).
الزمخشري. (بلا تاريخ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل. (مكتبة العبيكان، المحرر)
الطاهر بن عاشور. (بلا تاريخ). التحرير والتتوير. المكتبة التونسية.
العكبري. (بلا تاريخ). إعراب القرآن.
العكبري. (بلا تاريخ). إعراب القرآن.
القرطبي. (بلا تاريخ). الجامع لأحكام القرطبي.
النحاس. (بلا تاريخ). إعراب القرآن (الإصدار 1988/ط3). مكتبة النهضة العربية.
حماسة عبد اللطيف. (بلا تاريخ). النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي (الإصدار 1/200 ط1). دار الشروق.
ربيعة العمراني الادريسي. (ط1 / 2017). التكامل المعرفي بين علوم العربية. تأليف السلامي فاطمة، قضايا النحو في اللسانيات وتحليل الخطاب (صفحة 222). مؤسسة آفاق.
سيد قطب. (بلا تاريخ).
سيد قطب. (بلا تاريخ). في ظلال القرآن (الإصدار 7). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
فاضل السمراي. (2003). معاني النحو (الإصدار ط2). القاهرة: شركة العاتك.